الأستاذ حسين حيمر

محاضرات في مقياس فلسفة التاريخ

قسم الفلسفة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

المحاضرة الأولى : التاريخ وفلسفة التاريخ

أولا : مدخل مفاهيمي :

1 -مفهوم التاريخ : إن لفظ التاريخ كلمة ذات مدلولات عديدة و ذات أثر بالغ

على كل من يسمعها و هي تكسب أهميتها بالطبع من كونها اسم لذلك العلم الذي

يعد من أهم العلوم الإنسانية .فعلى الرغم من أن البعض ينظر إلى كتابة التاريخ

على أنها لا يمكن أن تكون علما و لا يمكن إلا ان تكون صنعة أو فنا او فلسفة

, صنعة بتصيد الوقائع, و فنا بإقرار نظام أي معنى داخل فوضى المادة ,و فلسفة

بالسعي وراء وجهة النظر و التنوير.

أ \_ التاريخ كعلم وصفي : من المعروف أن العلوم الوصفية تختلف عن العلوم

العامة مثل الميكانيكا الفيزياء البيولوجيا الكيمياء ...تعمل على اكتشاف القوانين

المفسرة للظواهر التي من نوع واحد بصرف النظر عن الأحوال الواقعية

الزمانية و المكانية لأن هدفها ليس تقرير الواقع بل التنبؤ بما سيكون في أحوال

المعلومة , و العلوم الوصفية تسعى لمعرفة وقائع جزئية فتبحث كيف تتوزع

إما في المكان وحده (كالجغرافيا ,علم النبات ,علم المعادن ,علم النبات... )أو

في المكان و توالي الأزمنة معا (كعلم الجيولوجيا ) و إلى هذا النوع الأخير ينسب

علم التاريخ.

-يجب التمييز بين التاريخ كأحداث وقعت في الماضي أو تقع في الحاضر أو

يتوقع حدوثها في المستقبل و بين التاريخ كعلم يقصد منه حفظ هذه الأحداث و

تسجيلها عبر الوثائق الأصلية و الشواهد الأثرية و الأدلة المختلفة التي تؤكد

حدوثها على نحو ما حدثت .

ب - المعنى الاصطلاحي للتاريخ : لقد ظهر هذا المعنى و تطور منذ أن ابتدعت

لفظة يونانية ISTORIA التي تعود ظهورها إلى القرنين السادس و الخامس قبل

الميلاد و وقصد بها في البداية البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة لقد انحصر

المعنى العام هذا بمرور الوقت و صارت الكلمة دالة على نوع واحد من

المعرفة و هو معرفة الأحداث التي وقعت في الماضي و بذلك ظهر مفهوم

4

التاريخ بمفهومه الشائع و الذي استخدمه أوائل المؤرخين اليونان أمثال

هيرودوت ثم بدأت هذه الكلمة تتخذ معاني أكثر اتساعا لدى بعض

الفلاسفة ,فقد استخدمها أرسطو في عنوان كتابه (تاريخ الحيوان ) فأصبح

التاريخ ليس فقط تاريخا للإنسان و إنما يمكن أن يكون هناك تاريخ للحيوان

بأنواعه المختلفة و ربما يتسع المعنى أكثر و أكثر ليصبح هناك تاريخ للمعادن

و تاريخ لكل مادة أو لكل شيء من الأشياء الطبيعية الأخرى . وعلى أي حال

فقد انتقل هذا المصطلح من اليونان إلى الرومان غير ان معناه أخذ أشكالا

مختلفة في اللاتينية وبعدها الإنجليزية و الفرنسية أن علم التاريخ يبحث عموما

في الموجود من مخلفات الماضي و سجلاته التي قد تعين على جلاء الحاضر و

توضيحه.

إن علم التاريخ هو مجرد طريقة علمية في البحث أما موضوعه فيتسع

ليشمل جميع المسائل البشرية, فكل ما يقع من الإنسان أو يقع عليه و كل ما

يبنيه أو يهدمه فهو داخل في حدود البحث التاريخي .

2 -مراحل عمل المؤرخ:

يقوم المؤرخ بمهمته التاريخية العلمية عبر مراحل أساسية ثلاث :

المرحلة الأولى: مرحلة التجميع أي تجميع المواد الخاصة بالوقائع الصحيحة و

الحوادث لموضوع البحث التاريخي ,و تعتبر الوثائق الخطية أعظم المصادر التي

تساعد على بلوغ هذا الغرض .

المرحلة الثانية: مرحلة النقد حيث يقوم المؤرخ بفحص عبارات الوثائق الخطية و

كذا التأكد من صحة الوثائق الأخرى و من قابليتها للتصديق .

المرحلة الثالثة: مرحلة التأويل و التفسير حيث تتطلب من المؤرخ سعة الخيال

العلمي فهو لا يكتفي بمجرد رص الحوادث و الوقائع التاريخية بترتيبها

الزمني حادثة أو واقعة بعد أخرى بل يعمل فكره و خياله .

3 \_مفهوم الفلسفة :

أ\_لغة: هي كلمة يونانية قديمة philosophy مركبة من مقطعين ophil و

معناها محبة و Sophy معناها الحكمة أو المعرفة ,و قد عرف الفيلسوف

5

اليوناني و العالم الرياضي المشهور فيتاغورس الفلسفة هي محبة الحكمة من

الغرور أن يدعي الإنسان الحكمة لأن اسم الحكيم لا يليق لإنسان قط بل يليق

بالإله و كفى الإنسان شرفا أن يكون محبا للحكمة و ساعيا وراءها.

ب \_ اصطلاحا : تعني دراسة المبادئ الأولى و تفسير المعرفة تفسيرا عقليا و

كانت تشمل العلوم جميعا المنطق الأخلاق الجمال و على ماوراء الطبيعة و على

هذا المعنى يقال فلسفة العلوم : فلسفة التاريخ , فلسفة الدين , فلسفة القانون...

4 - مفهوم فلسفة التاريخ:

فلسفة التاريخ هي الاسم الذي يطلق على مجال المعرفة الذي يدرس معنى التاريخ

و قوانينه و الاتجاهات الرئيسية لتطوره .فهي تقوم بتفسير مجرى تاريخ البشرية

كله على أساس نظرة فلسفية عامة أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات و تنقح

التاريخ من الأساطير و المبالغات. و هي تبحث في القوانين العامة التي تحكم

تطور المجتمعات الإنسانية و معنى هذا التطور و غايته .و بالمعنى العام تبحث

في الأسباب التي بها تكون الوقائع التاريخية , ومن فلاسفة التاريخ ابن خلدون

,فيكو ,هيغل...

ترجع فلسفة التاريخ من الناحية التاريخية إلى القدماء أمثال أفلاطون , أرسطو ,

أوغسطين... , و في القرن 18 م شهدت تطورا كبيرا على أيدي مفكري عصر

التنوير أمثال فولتير , هيردر , مونتسكو... إلخ.

ولم يمضي زمن بعيد حتى رأى بعض الباحثين أن هناك "علاقة واضحة بين

أساطير اليونان والشرق الأوسط و بين بداية الرواية التاريخية. موضوع فلسفة

التاريخ يبحث في العوامل الأساسية المؤثرة في سير الوقائع التاريخية ويدرس

القوانين العامة المسيطرة على نمو الجماعات الإنسانية وتطورها على مر

العصور.

يعتبر فيكو 1744 \_ 1668 صاحب كتاب العلم الجديد في نظر الكثيرين أول من

أرسى معالم فلسفة التاريخ في القرن 18 و كذلك فولتير استخدم مصطلح فلسفة

6

التاريخ لأول مرة في كتابه طبائع الأمم و فلسفة التاريخ الذي أصدره سنة 1756

و كان يقصد بذلك دراسة التاريخ الحضاري للأمم من وجهة نظرية عقلية ناقدة.

إلا أن مباحث فلسفة التاريخ ترجع إلى أقدم العصور منها كتاب مدينة الله للقديس

أوغسطين , و كتاب المقدمة لإبن خلدون , و كتاب الأمير لمكيافيلي 1532 م ,

خطابة في التاريخ لبوسويه 1681 م , و الحكومة المدنية لجون لوك 1960 م و من

الذين بحثوا في فلسفة التاريخ بعد فيكو و مونتيسكو و فولتير و هردر ,هيجل الذي

استنبط قوانين تطور البشرية من مذهبه العام , و مجمل القول أن جميع فلاسفة

التاريخ يبحثون في القوانين العامة التي لتطور الأمم و الشعوب.

ثانيا : مرتكزات النظريات الفلسفية حول التاريخ :

أ-الكلية : تبدو الحوادث التاريخية أمام الباحث أشتاتا لارابط بينها و اكواما تتراكم

فوق بعضها البعض ولتجنب المصادفات يطلب الفيلسوف الوحدة العضوية بين

هذه الأجزاء و من ثم فإن نقطة البدء في فلسفة التاريخ تكامل بين الأجزاء وترابطا

بين الوقائع ويتشكل من ذلك كله ما يسمى بالتاريخ العالمي الذي يصبح مادة

الفيلسوف . ففلسفة التاريخ لاتقف عند عصر معين و لاتكتفي بمجتمع خاص بل

تضم العالم كله في إطار واحد من الماضي السحيق حتى اللحظة التي يدون فيها

الفيلسوف نظريته بل قد لا يقتنع بذلك ويمد تفسيره إلى المستقبل .

ب\_ العلية: يلجأ المؤرخ في التاريخ العادي إلى التعليل لكنه يتقيد دائما في

استنباطه للأسباب بواقعة جزئية ملتزما بأطر التاريخ أو مقولاته من فردية

وإمكانية أما فيلسوف التاريخ فيختزل العلة الجزئية للحوادث الفردية إلى علة

واحدة أو علتين على أكثر تقدير يفسر على ضوئها التاريخ العالمي وهذا يقتضي

بطبيعة الحال إعادة تشكيل وقائع التاريخ لينسج منها صورة عقلية.

وكما ذكرنا سابقا أن فلسفة التاريخ كمادة بحث ترجع إلى العصور القديمة وقد

و قد اختلفت النظرة إلى التاريخ باختلاف العصور لصلتها الوثيقة بالوضع

الحضاري وبالتطورات الثقافية قد تأثرت دراسة التاريخ وفكرته بتطور الفكر

العلمي والفلسفي خاصة وقد ساهم الفلاسفة والمؤرخون على حد سواء في

الخوض في فلسفة التاريخ .

7

\* تتحدد مجالات فلسفة التاريخ و تطبيقاتها في تعليل و تفسير التاريخ

\_التاريخ العالمي \_ التطلع إلى المستقبل – تفسير ظهور الحضارات و

سقوطها – استخراج القوانين المتحكمة في مسيرة التاريخ ...

من الإشكاليات التي تطرحها فلسفة التاريخ وتحاول الإجابة عنها هل المعرفة

التاريخية ممكنة ? وماهي الأدوات و المناهج التي نتوصل من خلالها إلى

الحقائق التاريخية ?

من خلال هذه الإشكاليات يتضح أن فلسفة التاريخ تمارس أولا نقدها الفلسفي

على مناهج الكتابة التاريخية من خلال بيان حدودها و مجالاتها و بذلك فغن

فلسفة التاريخ تسهم في تحديث و تطوير المناهج و الأدوات التي يستخدمها

المؤرخ في دراسته للوقائع التاريخية و تنبه إلى الأخطاء التي قد يقع فيها و

تكشف عن جوانب الضعف .

المحاضرة الثانية: التاريخ و الأسطورة )علاقة التاريخ بالأسطورة من خلال

الأعمال التاريخية الكبرى \_هيرودوت (

1 \_ تعريف الأسطورة :

إذا نظرنا إلى الأسطورة سنجد هناك تعريفات متعددة لعل أهمها:

فقد اشتقت الأسطورة من لفظ يوناني Mythos وفي الإنجليزية Myth ,

وهي تعني بذلك حكاية تقليدية عن الآلهة والأبطال؛ لذلك وجد مصطلح

ميثولوجي Mythology علم دراسة الأساطير.

وفي اعتقاد جيرالد لارسون أنها حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات

المنسوخة عن الألهة أو القوى الغيبية و المتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة

أو الجماعة العرقية, كما انها تفسر خلق الكون و الإنسان و نشأة الكون و

القرابين و أعمال الأبطال .

ومهما يكن من أمر, فلقد اختلف المفكرون والباحثون في الوصول إلى تحديد

مفهوم ثابت للأسطورة, فبعضهم يراها حكاية, وبعضهم يرى أنها مجموعة

8

تصورات تتجاوز الفعل الموضوعي ,فالأسطورة رغم تضارب الآراء هي

مجموعة الحكايات الطريفة المتوارثة منذ أقدم الفترات و العهود الإنسانية ,تكون

حافلة بمختلف أنواع الخوارق و المعجزات التي يختلط فيها الواقع بالخيال .

2 - علاقة التاريخ بالأسطورة عند هيرودوت :

هيرودوت herodotus 425 \_ 484 ق.م ولد في هاليكارناسوس في جنوب

غرب أسيا الصغرى أطلق عليه الخطيب الروماني سيشرون أبا التاريخ أول

مؤرخ إغريقي أخذ على عاتقه كتابة تاريخ العالم حتى الوقت الذي عاش فيه.

اشتهر بكتاب عنوانه تمحيص أو إثبات الأخبار تناول عن نشأة الإمبراطورية

الفارسية ,و غزو الفرس و اليونان و تاريخ الحروب و الوقائع بينهم .و قد كتب

هيرودوت التاريخ بطريقة شيقة فقد ضمنه الكثير من القصص التي لم يكن هو

نفسه يؤمن بها لأن هذه القصص تجعل وصفه أكثر متعة.

كان هيرودوت يروي التاريخ كما يروي الراوي حكايته لجمهور يجهل القراءة و

لا وسيلة لديه للمعرفة سوى سماع الروايات كان حريصا على أن يكون تاريخه

مدونة تحفظ مأثر البشرية و تنال فيه الأعمال العظيمة حظها من الذكر للإغريق

و البرابرة ,و هذه المأثر لا تقتصر على وصف الحروب و المعارك فحسب و

إنما تمتد عنده لتشمل المعالم و المعابد و ما أتى به الناس من المراتب كافة من

أعمال جديرة بالتقليد , و كان يعتمد على الروايات التي أخذها من الأجانب و

يروي عددا من الخرافات و الأوهام و التنبؤات و يضم عددا من الأخطاء و

المبالغات و تقبله الخوارق تغرب و ايمانه بتدخل الالهة في توجيه الأحداث و

يؤمن بالوحي و الأحلام.

التاريخ عند هيرودوت يعتمد على الخرافة و الأسطورة حيث له اهتمام بالخوارق

مثل الأفاعي الطائرة لذلك وصف البعض بأنه مروج للروايات و الحكايات العجيبة.

حيث نجد هيرودوت أول مؤرخ يوناني تحدث عن مجموعة من الأساطير التي

تنتمي و تمثل الحضارة اليونانية القديمة و التي تضم عددا لايحصى من الالهة و

الأبطال الأسطوريين و كان لها أدوار عظيمة في الميثولوجيا الإغريقية و بالتالي

تعد انعكاسا لتاريخ اليونان .

3\_ هيرودوت و الميثولوجيا الإغريقية :

9

الميثولوجيا الإغريقية هي الأساطير التي امن بها قدماء اليونان يدور موضوعها

حول الألهة و الشخصيات البطولية الأسطورية و طبيعة العالم وتعتبر الأساطير

منطلق الطقوس و الممارسات الدينية ,مما جعل من الضروري لفهم الحياة الدينية

و السياسية في بلاد الإغريق الإحاطة بالأساطير اليونانية و تجسدت الميثولوجيا

الإغريقية في الرواية و الفنون و الشعر فضلا عن التاريخ الشفهي والشعر وملاحم

"هوميروس" من أقدم الأشعار الإغريقية التي أوردت الكثير من الأساطير مع

تركيزها على حصار طروادة, إلى جانب ضمها لقصائد "هوزيود". فمن أعمال

هوميروس "الإلياذة" التي تناولت أحداث تاريخية تزامنت وأواخر حرب طروادة

وبالتالي بنيت على أساس واقعي لكن بلغة شعرية خيالية, في حين "الأوديسة"

تحكي ما عاناه "أوديسيوس" في طريق عودته من هذه الحرب.

ويرجع الفضل لهيرودوت في المزج بين التفسير العقلي والميثولوجي للأحداث

التاريخية ,وهو ما يمثل نقلة مهمة تجاوزت التعليلات الأسطورية التي اتسمت بها

أعمال هوميروس وهزيود, فضلا عن تبني ثوكوديدس للتعليل العقلي, وحضور

فكرة السببية علما أن هؤلاء المؤرخين الثلاث عاشوا بين القرنين الثاني والخامس

قبل الميلاد, حيث عاصروا فترة ازدهار الفلسفة وربما تأثروا بنزعتها النقدية.

بعض الملاحظات عن منهج هيرودوت في كتابه "تاريخ هيرودوت:"

\* استند هيرودوت على البحث والملاحظة والاستنتاج وتحليل الويائع.

\* يفسّر أحيانا الوقائع التاريخية بالتدخل الرباني.

\* استخدام أسلوب النثر في ويت شاع استخدام اللغة الشعرية.

\* أورد بعض الحكايات العجيبة والخوارق.

\* الاهتمام بحروب فارس والإغريق, رغم أنه تناول تاريخ مصر والشرق

...إلخ. والتركيز على البحث في أسباب الصراع, وتحديدا في السر الكامن وراء

الانتصارات التي حققها الإغريق ضد الفرس رغم القوة التي امتلكها الفرس.

\* استخدم أسلوب الرواية للكتابة فكان أول مؤرخ يحاول تتبع أحداث في التاريخ

و الحضارة اليونانية من خلال اعتماده على الأسطورة .

10

المحاضرة 3 : الله و التاريخ\_ سان أوغسطين\_

1 -التعريف بالقديس أوغسطين :

أوغسطين هو فيلسوف مسيحي و أحد كبار الكنيسة الكاثوليكية , ولد في طاغست

و هي اليوم ماتعرف اليوم بسوق أهراس في شرق الجزائر في 13 نوفمبر 354 م

و توفي سنة 430 م ب هبون اسمها اليوم عنابة . درس أوغسطين النحو و الفنون

الحرة في قرطاجة كما اشتغل بالتدريس و كان معلما للخطابة في مدينة ميلانو كما

ألف عدة كتب منها مدينة الله , الإعترافات .

- 2 التفسير التاريخي لنظرية العناية الإلهية :

لقد توجهت المسيحية نحو تفسير يقرر بأن العناية الإلهية هي التي تتحكم في

المسار التاريخي و الأفعال البشرية , فكان التاريخ مجرد سرد للخوارق و كرامات

القدسيين و معجزاتهم , لقد لجأ المسيحيون لإضفاء صفة العناية الإلهية على من

هم مسيحيون لتبرير أفعالهم ,و هذا ما ورد في مؤلف القديس أوغسطين “مدينة

الله” حيث يقول” التاريخ مسرحية ألفها الله و يمثلها الإنسان” هذا القول يوضح

أن الوقائع التاريخية مسرحية من تخطيط المشيئة الإلهية التي وضعت غاية

للتاريخ انطلاقا من فهمها للإنسان و علاقته بالله على أساس جوهر الفكرة

المسيحية الخطيئة و الخلاص .

تقوم فلسفة التاريخ عند أوغسطين على أن العالم منذ أن خلقه الله و هو في صراع

بين نوعين من الحب حب الإنسان لله ,و حب الإنسان لنفسه , لهذا انقسمت المدينة

إلى مدينتين مدينة أرضية, و مدينة سماوية ,وانقسم التاريخ إلى تاريخ دنيوي و

11

تاريخ مقدس , في نظر أوغسطين حب الذات لحد احتقار الله صنع المدينة

الأرضية, وحب الله لحد احتقار الذات صنع المدينة السماوية .

يرى القديس أوغسطين أن التاريخ يدور حول كل من المؤقت و الأبدي و الله هو

الأبدي و هو خالق الكون و الزمن فالله موجود في كل زمان ومن ثم فإن عنايته

حالة من التاريخ الإنساني كما هي حالة في الكون كله و شؤون تاريخ الأراضي

يتولاها الله الواحد وهو يحكمها و يسيرها كما يشاء ,ولقد شبه أوغسطين المدينة

الأرضية بالإمبراطورية الرومانية و إثر هذا مهد لظهور نظرية تدافع عن

المسيحية بإعتبارها المثل الأعلى للدولة .

لقد رأى القديس أوغسطين أن هناك نزعتين و هما "نزعة حب الذات إلى حد

الاستهانة بالله و نزعة حب الله إلى حد الاستهانة بالذات, كما أن في المجتمع

مدينتين : المدينة الأرضية و المدنية السماوية, الأولى تعمل على نشر الظلم و

تجاهد الثانية في سبيل العدالة ,حيث تميزت المدينة السماوية فأصبحت ممثلة في

بني إسرائيل أما المدينة الأرضية هي سائر الحضارات الأخرى التي مهدت

لظهور السيد المسيح ’ إذ مهدت له إسرائيل روحيا و مهدت له الحضارة القديمة

سياسيا وفقا لتدبير من العناية الإلهية .

يجب أن تتم « لقد أوضح أوغسطين أهمية الارتباط بين الدين والسياسة حيث قال

الوحدة بين الجانب الروحي ممثل في الكنسية و بين الجانب السياسي ممثل في

الدولة و أنه لما كانت الدولة تسعى إلى الخبرات المادية الدنيوية بينما تجعلها

الكنيسة وسيلة لغاية روحية أسمى فإنه يجب أن تخضع الدولة للكنيسة حتى تحقق

سعادة الدنيا و سعادة الأخرة و تمكن الدولة الكنيسة من تحقيق أغراضها وذلك

من خلال القانون الإلهي الذي بذاته يضمن العدالة في مدينة الله .

3 - منهج أوغسطين في دراسة الأحداث التاريخية :

إن الوصول إلى الكشف عن أي حدث تاريخي و استخراج معناه الحقيقي لابد و

أن يقوم على مجموعة من الخطوات ,فأوغسطين بدوره وضع خطوات من شأنها

أن نصل من خلالها إلى دراسة الأحداث التاريخية دراسة دقيقة و هي كالتالي :

أولا : سد الثغرات التاريخية : حاول أوغسطين أن يكشف عن مختلف الثغرات

الموجودة في الكتاب المقدس , و أول ثغرة صادفها في دراسته هي بخصوص

12

أبناء أدم حيث أن الكتاب المقدس لم يذكر سوى قابيل و هابيل فهذا غير مقبول

عند أوغسطين لأن العقل لا يمكن أن يقبل مثل هذا التصور إن الثغرة المتعلقة

بأبناء أدم يبررها بأن الكتاب المقدس لم يكن يعنيه حصر كل ذرية أدم بل كان

يعنيه وحسب بأن ذرية أدم التي تنتهي في تسلسلها إلى إبراهيم أبي الأنبياء .

في هذه الخطوة يبين لنا أوغسطين بأن الكتاب المقدس حتى و إن وجدت فيه

ثغرات يجب على المؤرخ أو الباحث أن يحاول تغطية الخطأ أو تلك الثغرة التي

واجهها .

ثانيا :إعادة ترتيب الأحداث :

من خلال هذه الخطوة سعى أوغسطين للكشف لنا بأن الكتاب المقدس لم يلتزم

بسرد الأحداث التاريخية بشكل متسلسل , الامر الذي دعى إلى ضرورة بذل جهد

من طرف المؤرخ في إعادة الترتيب للأحداث و يرجع إلى سياقها الأصلي و ذلك

بإعادة كتابة التاريخ .

ثالثا :النقد التاريخي : أوغسطين لم ينقد الكتاب المقدس نقدا ليس فيه رجوع فهو

يرفض بعض الروايات في هذا الكتاب و ذلك لعدم اتفاقها مع المنطق ومعارضة

للعقل حيث حاول أن يضع لها تبريرات من أجل المحافظة على قيمة الكتاب

المقدس و الانتقال به من اللامعقول إلى المعقول وذلك بإبراز الحجج بحيث تكون

هذه الأخيرة في صالح الكتاب المقدس .

رابعا :تأويل الأحداث :

أن هذا المنهج هو الأفضل عند أوغسطين ,فهو يمثل أقوى خطوة عن الخطوات

السابقة ,فبفضل هذا المنهج نصل إلى الحقيقة الباطنية وذلك من خلال اعتماده

على التفسير الرمزي بحيث أنه قدم مبادئ واضحة للتمييز بين نوعين من التفسير

الظاهري والمعنى الباطني , إلا أن أوغسطين يقول بالتفسير الباطني فالقارئ

عندما يحاول كشف معاني الكتاب المقدس أو حتى أي كتاب أخر , فهو عندئذ

يقف عند المعاني و الأحداث في اعتقاده أنها بدون فائدة ولا تؤدي لنفع عند

اطلاعنا عليها وذلك ناتج من قراءته الحرفية و تفسيره الحرفي الظاهر لها , و

ذلك ما يؤدي إلى الحكم على انها بدون فائدة ويقول بأننا علينا ان نتجنب تفسيرها

13

الحرفي ,وذلك من خلال فحص معناها الداخلي و الكشف عن ملامحه الخفية ففهم

الحدث في بدايته و في باطنه يعطي لنا فهما أكثر عمقا من الفهم الخارجي .

المحاضرة رقم 4 : الأبطال و التاريخ ) جيوفاني فيكو - كارليل (

أولا : دور الأبطال في صناعة الحدث التاريخي \_ جيوفاني فيكو \_

1 - التعريف بالفيلسوف :

فيكو جيوفاني باتيستا مؤرخ و فيلسوف إيطالي , ولد في 23 جوان 1688 م

بنابولي اهتم بربط القانون بالأبحاث اللغوية و التاريخ , كما درس الأدب و البلاغة

و الفلسفة والمنطق و اللاهوت ..., أول من وضع نظرية في فلسفة التاريخ في

كتابه )مبادئ علم جديد(, الذي صدر عام 1725 وشرح فيه مراحل التطور

الاجتماعي في اشكالها التاريخية .

2\_ التاريخ و أطوار الحضارة عند فيكو :

ترتكز نظرية دور الأبطال في صناعة التاريخ أن الأبطال و الرجال العظماء هم

من يصنعون تاريخ البشرية و أن الأبطال هم الذين يرفعون شعوبهم للقمة و

الصدارة و بالتالي فالتاريخ هو تاريخ العظماء .

يعتبر فيكو في نظر الكثير من الباحثين الذين نظر لفلسفة التاريخ و أول من أرسى

قواعد فلسفة التاريخ في العصر الحديث حيث اعتبر فيكو الحضارة وحدة لدراسة

التاريخ اهتم بالتاريخ الإنساني ونمو الحضارات وتطورها في كتابه العلم الجديد في

الطبيعة المشتركة بين الأمم كغيره من المفكرين و فلاسفة التاريخ حاول أن يضبط

لنا مراحلها انطلاقا من نشأتها ونهضتها وصولا إلى انحلالها و سقوطها ,فكل

الشعوب في مسار تطورها تمر وفق ثلاث مراحل فما حقيقة هذه المراحل وما

الذي يميزها عن بعضها البعض .

لقد تصور فيكو أن تاريخ الإنسانية يتم تطوره عبر ثلاث عصور أو مراحل

حضارية متتابعة و صاعدة في شكل حركة لولبية أو حلزونية هذه المراحل هي

14

المرحلة اللاهوتية ,المرحلة البطولية ,المرحلة الإنسانية و ان كل دورة حضارية

متفتحة على الدورة الحضارية الأخرى الأعلى و الأرقى منها على المستوى

الحضاري أي ان كل حضارة تكون أفضل من الحضارة الأخرى التي سبقتها .

إن الحركة الدائرية لتعاقب الحضارات في تصور فيكو لا تسير في شكل حلقات

دائرية ولكنها تسير في حلقة حلزونية كالسلم أو كمدارج الجبال إلى الأعلى فلا

تعود الدائرة إلى النقطة نفسها التي بدأ منها ولكنها تصل إلى نقطة أعلى منها ,

فالبربرية التي انحطت إليها الحضارة الإغريقية القديمة هي غير البربرية التي

انحطت إليها الحضارة الرومانية القديمة .

\* مراحل الحضارة عند فيكو :

إن الطرح في فلسفة فيكو يبين أن المجتمعات الإنسانية تمر بمراحل معينة من

التطور الذي ينتهي إلى الانحلال و السقوط في البربرية لتبدأ من جديد مراحل

أخرى أعلى من منها درجة وقوة مما سبقتها ,لينتهي هذا التطور بدوره إلى

الانحلال والسقوط ,و بذلك تتصل وتتداخل في منظوره الحلقات التاريخية ,فليس

التقدم إلا نصف حركة دورية نصفها الأخر الانحلال ,و التاريخ شأنه شأن الحياة

هو تطور و انحلال في تعاقب , فنظرية التعاقب الدوري للحضارات عند فيكو

تقوم على فكرة أن كل الشعوب تمر في مسارتطورها عبر ثلاث مراحل سماها

عصورا على النحو الاتي :

أ - عصر الألهة : هذا العصر يمثل المرحلة الأولى من الدورة التاريخية حيث يسودها

التفكير الخرافي و الأسطوري والخوف من الظواهر الطبيعية و إيمانهم الشديد

بإرادة و سلطة الألهة وحكمها المطلق في مصير البشرية أي ان كل العلل والوقائع

في التاريخ تنسب إلى القوى الغيبية أو إلى الله .أما السلطة فتكون بين الكهنة

ورجال الدين الذين يحكمون الناس و يشرعون القوانين باسم مشيئة الألهة .

ب – عصر البطولة ) دور الأبطال النبلاء ( : هذا العصر يشهد انتقاله من عصر

الألهة إلى عصر البطولة تدريجيا و ما ساعد ذلك هو اتحاد مجتمعات متعددة مع

بعضها البعض من أجل مواجهة الصعاب و الأخطاء الداخلية والخارجية , هذا

التفسير الانتقالي له مرجعية تاريخية فهو مجرد إلا تعبير عن تاريخ إيطاليا إبان

القرن الثاني عشر ميلادي ,التي شهدت صراعا بين البيزنطيين والمسلمين و

15

النورماديين و استلاء و استرجاع هذا الأخير لسيادتهم على مختلف المناطق خاصة

جنوب إيطاليا .

كما أن ما يميز هذا العصر هو عصر القوة حيث يشهد انتقال السلطة من يد رجال

الدين والكهنة إلى رجال الحرب و السياسة ,وهذا الأخير يدفع إلى ظهور

شخصيات فاعلة في حركة التاريخ وهي ما تدعى بشخصية البطل في التاريخ و

اهم ما يميز هذا العصر هو حب البطولة و تمجيد القوة أي أن مقاليد الحكم تكون

في يد أبطال أشداء محاربين قادة أقوياء يعتقد الناس أنهم أسمى من البشر, ما يميز

هذه المرحلة انقسام المجتمع إلى طبقات متمايزة حيث يفصل بين السادة و العبيد إذ

يحصل التفاوت وانعدام العدل والمساواة بصفة مطلقة ,مما يعني غياب الفضيلة

التي هي أساس وحدة و تماسك أفراد المجتمع .

ج - عصر الإنسانية: إن هذا العصر الأخير يختلف اختلافا جوهريا عن عصر

البطولة حيث يتم فيه الاعتراف بالمساواة بين البشر , و ذلك حينما تحصل الشعوب

على حقوق المواطنة و بذلك تصبح أهم ميزة لهذا العصر وهي الأنظمة

الديمقراطية أي المساواة في الحقوق و الواجبات أمام القانون و كمواطنين أحرار

,حيث يتم فيه ممارسة السلطة من طرف أغلبية الشعب و ذلك بإشراك الشعب في

اختيار ممثليه بالانتخاب .

ثانيا : البطل والتاريخ من منظور كارليل :

1\_ التعريف بالفيلسوف : ولد باسكتلندا عام 1795 , التحق بجامعة ادنبرج

واشتغل بالتدريس, من أهم مؤلفاته " فلسفة الملابس" , "سيرة كرمويل", "تاريخ

فريديريك ملك بروسيا" ثم " في الأبطال وعبادة البطولة". يمتاز بأسلوب رومانسي

انفعالي حاد, توفي عام 1881.

2 – دور البطل في التاريخ :

عبر توماس كارليل في حماس بالغ عن دور الابطال في التاريخ و ان التاريخ

العالمي في صميمه تاريخ العظماء و ما انجزوه ,إن كل ما تم إنجازه في العالم انما

هو الحصيلة المادية الخارجية و التحقيق العملي و التجسد الحي لأفكار عاشت في

عقول عظماء عاشوا في هذا العالم انهم روح التاريخ العالمي كله .

16

الأبطال و عبادة البطولة" على أن « : يتحدث توماس كارليل في كتابه الشهير

البطل هومن يصنع التاريخ و الحدث في العالم و هذا ما يؤكده في قوله :" أن

التاريخ العام و تاريخ ما أحدثه الإنسان و العالم إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا

من العظماء, فهم الأئمة و هم المكيفون للأمور و هم الأسوة و القدوة و هم

المبدعون... فكل ما بلغه العالم و كل ما تراه قائما في هذا الوجود كاملا متقنا فاعلم

أنه نتيجة أفكار هؤلاء العظماء....فروح تاريخ العالم هو تاريخ اولئك الفحول ,إن

المعنى الحقيقي للبطل عند كارليل هو ذلك الشخص الذي يتمتع بإمكانيات راقية

من الفكر و الذكاء و القوة و الشجاعة و غيرها من الصفات الإيجابية لشخصية

البطل و بهذا يكون كارليل قد وسع من دائرة مهام البطل فلم يعد مفهوم البطل

يقتصر على القادة السياسيين و العسكرين فقط بل البطل أيضا أديب و فيلسوف و

فنان و نبي و قسيس و ملك و زعيم سياسي و عسكري .و حلل كارليل عناصر

العظمة في البطل إلى ثلاثة أسباب وهي : الإيمان بأن البطل قد اختاره الله ,

الإيمان بالجبرية التي يعبر عنها البطل برسالته , أن يتحلى البطل بالشجاعة .

وهكذا ومع اعتبار كارليل ممثلا لنظرية " البطولة صانعة التاريخ " حيث أن

البطولة عنده لا تقتصر على السياسة والحرب . بل أطلقها على أفراد ممثلين

لمختلف جوانب الحضارة, مقتربا في ذلك من النظرية المقابلة القائلة بأن الحضارة

صانعة التاريخ. ومع ذلك فقد كان يعد البطولة السياسية والعسكرية أسمى

البطولات ,وأنه لم يمجد القادة والسياسيين تمجيدا مطلقا, بل كان على وعي

بالفرق بين البطولة الحقة والبطولة المزيفة .

محاضرة 5 : فلسفة التاريخ عند هيغل

1 التعريف بالفيلسوف :جورج فلهلم فريدريك هيغل \_ 1770 - 1831 من أهم

فلاسفة ألمانيا, ولد في مدينة شتوتغارت , حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة

المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي, لذلك فإن النصوص

الفلسفية الهيغيلية من أقوى النصوص من حيث غزارة الإنتاج وكثافة المعنى, ما

جعل بعض الفلاسفة يقسمون الفلسفة الغربية المعاصرة إلى ما قبل وما بعد فلسفة

هيغل, وذلك راجع إلى الأثر العميق الذي تركته فلسفته في الفكر الغربي المعاصر,

ويعد هيغل مؤسس التيار المثالي في الفلسفة الغربية المعاصرة الذي يؤمن بأسبقية

الفكر على الواقع. من أهم مؤلفاته: العقل في التاريخ ,أصول فلسفة الحق ,

فينومينولوجيا الروح ,فلسفة الدين...

17

2- أنواع التاريخ عند هيجل :

إن التاريخ عند هيجل حركة منطقية جدلية وهو في الغالب سلسلة من الثورات

يستخدم فيها المطلق الشعوب أثر الشعوب والعباقرة أدوات في تحقيق النمو و

التطور ونحو الحرية والمقصود منها التاريخ هو مجموعة أو قيام سلسلة من

الثورات التي يقوم بها الشعوب والتي تقوم من أجل تغيير مبدأ الحياة و يستخدم في

هذه الثورة ناتج التطور الذي تحققه بحيث نجد في كل مرحلة من مراحل التاريخ

تناقض بين أطراف و لا يستطيع حل هذا التناقض سوى صراع الأضداد فالتاريخ

هو نمو الحرية و تطورها .

أذ اعتبرت هذه نظرة هيجل للتاريخ باعتباره مسرحا للجدلية وسعيا للرقي والوعي

والوصول للحرية فهو يرى أن التاريخ هو مسار يعبر عن التقدم من خلال الشعور

بالحرية وهو لا يرى أن الحروب والصراعات بين الأمم ضرورية للتقدم فحسب

بل إنه يرى أهم فترات الرخاء والسلام الخالية من التناقض ليست عصورا

تاريخية ولا تعتبر مرحلة تاريخية أثناء عرض مراحل التاريخ. كما نجد التاريخ

ينبثق كرواية للأحداث وفي نفس الوقت كأعمال و أحداث تاريخية فالمجتمعات التي

لا تكتب التاريخ ليس لها تاريخ فالأحداث التاريخية تتطلب أن تكون على وعي

ذاتي ودراية بها تكشف عن نفسها في الكتابة التاريخية ,ومنه نستخلص ثلاثة أنواع

لكتابة التاريخ عند هيجل :

التاريخ الأصلي: والمقصود به ذلك التاريخ الذي يكتبه المؤرخ و هو يعيش أصل

الأحداث و منبعها فهو ينقل ما يراه أمامه وما سمعه من الاخرين كما هو او على

حسب ما تم روايته له أو نقل إليه بحيث ينقله بتفاصيله و يجعلنا نعيش الأحداث و

كأننا مررنا بها أو تعرضنا لها أي يقوم بتجسيدها في تصورنا العقلي ومن أهم

خصائص هذا النوع :

- يقوم المؤرخ برواية الأحداث التي عاشها و بالتالي فإن روح المؤرخ تصير هي

نفسها روح العصر.

- أن تكون الفترة التي يكتبها المؤرخ عادة قصيرة .

يهتم المؤرخ برواية أحداث منفردة تتعلق بأشخاص أم بأمور أخرى . \_

يقتصر الراوي في رواية الأحداث على ملاحظاته الشخصية . \_

18

التاريخ النظري : وهي أن المؤرخ لا يعيش الأحداث التي يرويها ,إنما هو يجاوز

العصر الذي يعيش فيه لكي يؤرخ لعصر اخر أي أن المؤرخ يسجل أعمال

الماضي أي هو يعيش في عصر و في حقبة و يكتب أحداث لفترة أخرى غير التي

يعيش فيها و يؤول الماضي بنظرة العصر الذي يحيا فيه إذ يقر يقر بذلك يمكن أن

نسمي النوع الثاني من التاريخ باسم التاريخ النظري و المقصود به التاريخ الذي

يعرض بطريقة لا تحصر نفسها في حدود العصر الذي ترويه بل يتجاوز روح

العصر الحاضر ,أي تجاوز العصر الذي يعيش فيه إلى عصر أخر فيروي أحداثا

موافقة لم يشهدها و لم يعش أصها .

التاريخ الفلسفي : يرى هيجل هذا النوع من التاريخ يحتاج إلى شرح و تفسير أكثر

من الأنواع الأخرى إذ يرى بعدم ضرورة إطالة الشرح في النوعين السابقين إذ

يرى هيجل أن المؤرخ الفلسفي يستخدم النتائج التي وصل إليها المؤرخ الأصلي

لكي يقوم بتأويل التاريخ على أنه التطور العقلي للروح في الزمان وذلك شيء يفلت

من صناع التاريخ ومن المؤرخين الاخرين , ما يمكن فهمه هو أن هذا النوع يكون

نتيجة جمع بين التاريخ الأصلي و التاريخ النظري بحيث يقوم الذي يؤرخ التاريخ

الفلسفي إلى التوصل من خلال ماتم التطرق إليه قبله و يصل إلى نتائج تخطر ببال

الذين سبقوه .

3- المنهج الجدلي عند هيجل ) الديالكتيكي ( :

عرف المنهج الجدلي بأنه ذلك المنهج الذي يبحث عن الحقيقة من داخل الظاهرة

ويتتبع مراحل تغير الظاهرة بناءا على الصراع الداخلي الذي يحدث للظاهرة, على

عكس المنهج التجريبي الذي يدرس الظاهرة من الخارج عن طريق الملاحظة

والتجربة.كما يعرف بأنه المنهج الذي يبحث عن الأجزاء التي تكون الظاهرة

ويدرس مدى تناقضها ويبحث في إمكانية حدوث صراع بين هاته الأجزاء داخل

الظاهرة .

إن الجدل عند هيجل هو تقدم مطور للمعرفة فهو صورة لجدل الأشياء إذا في كل

مرحلة ينبثق عنها التناقض من صميم الأشياء من أجل التصاعد نحو التأليف

وصولا إلى وحدة تتحقق في الواقع فهو قانون تطور الوجود والفكر في ان واحد

حيث اكتشف هيجل فيه ضرورة التناقض و التجاوز المستمر من أجل الانتقال إلى

مرحلة أخرى يظهر فيها التأليف بين التناقضات لتصل في النهاية إلى تحقيقها في

الواقع .

19

إذن الجدل الهيجلي يعني ان الأشياء ليست في حالة انسجام وتصالح بل في حالة

صراع وتناقض دائم فكل الظواهر متناقضة بصورة أو بأخرى حتى و إن بدت

غير ذلك. ومنه يقوم الجدل عند هيجل على ثلاثية متعارضة وهي القضية ونقيض

القضية ومركب القضية ويشير هذا الثلاثي للجدل الهيجلي إلى أن العقل يبدأ بإثبات

حقيقة ثم ينكرها ثم يركب بينها .

4 - النزعة المثالية في تفسير التاريخ :

تعتبر المثالية مدرسة مهمة في تفسير تاريخ العالم حيث كانت جذورها الأولى تعود

إلى الفيلسوف اليوناني الشهير أفلاطون فإن شروطها كحقل معرفي متميز قد

توفرت مع إكتمال الفلسفة الغربية مع نسق هيجل و مثاليته المطلقة هذا الفيلسوف

الألماني هو الذي بلور الديالكتيك في معارف أساسية .و إذا كان الجدل أو

الدياليكتيك طريقة خاصة في البحث فقد حوله هيجل إلى شيء جديد إذ أصبح

طريقة لتفسير الواقع فالتناقض ليس في الأراء فقط بل هو ثابت في صميم كل واقع

فأقام منطق على هذا الأساس المنطق الجدلي و جعله تفسير للمجتمع و الدولة و

يعتبر هيجل أن الفكر يتطور من قضية إلى نقيضها إلى قضية تركيبية بين نقيضين

لكنها مخالفة لهما وهكذا يستمر الحال حتى تصل الفكرة إلى المطلق الذي يخلو من

الصراع و التناقض و لقد اعتمد هيجل على أن الفكر يسير دائما على هذا المنوال

فهو يبدأ بقضية و يعارضها في الحال نقيضها , ثم تظهر فكرة أوسع تجمع بينهما

في مركب واحد غير أن ه<ا المركب يثير بدوره نقيض جديد و تتكرر العملية

ذاتها من جديد .

التاريخ عند هيغل هو نتاج إرادة وتخطيط وليس وليد الصدفة, والآراء والأفكار

هي التي تسنيّ التاريخ, فالنهضة الأوربية قامت على أساس أفكار النابغيّ في أوربا

الغربية ابتداءً من القرن الثالث عشر الميلادي, والثورة الفرنسية اندلعت متأثرة

بآراء وأفكار المفكرين الفرنسييّن أمثال فولتيّر ومونتيسكيو وجون جاك روسو.

ومن هذا المنظور يتضح أن العقل عند هيغل هو الذي يحكم التاريخ, لأن التاريخ

هو تاريخ الإنسان, والإنسان كائن عاقل, وبذلك فالتاريخ عبارة عن سلسلة من

تطور الوعي بالحرية وتاريخ الإنسانية هو تقدم نحو الشعور بالحرية.

والقول بنهاية التاريخ عند هيغل يترتب عنه أن التاريخ يسيّر في مسار خطي

متصاعد قاعدته الحضارة اليونانية التي عرفت بعض أشكال الحرية وقمته الأمة

الجرمانية التي تسودها الحرية المطلقة .

20

5- الدولة وتطور التاريخ :

الدولة عند هيغل هي إحدى منجزات العقل, وهي تعبيّ عن روح الجماعة والإرادة

العامة, والدولة هي التي تج نسد فعليا وعمليا مفهوم الحرية, ومن هذا المنطلق فإنه

لا يمكن تصور حرية دون دولة تعبر عن أهداف المجتمع, وهذه الحرية مضمونة

بموجب دستور تقرره الأمة بحرية, وهنا تكون الدولة هي كنه تطور التاريخ عند

هيغل وتجسيدا للصيّورة التاريخية.

ظهور الدولة في أي مجتمع هو الذي يقسم الشعوب إلى تاريخية أو لاتاريخية

حسب هيغل, لأن الدولة هي الإطار التنظيمي والاجتماعي الذي يعكس درجة

الوعي بالحرية, وبتتبعه للتاريخ ومن منظاره يخلص هيغل إلى أن العالم الشرقي

هو عالم ما قبل التاريخ لأنه عالم تحكمه الأساطيّر والخرافات والخضوع للأفراد

الطغاة وليس للقانون, في حيّ الشعوب الغربية هي الشعوب التاريخية لأنها عرفت

الوعي بالحرية وعرفت الدول التي تجسد التحقق الفعلي للتاريخ. ومن هذا التصور

يكون العالم الشرقي اللاتاريخي هو نقطة البداية, في حيّ العالم الغربي التاريخي

هو النضج والكمال ولعل العناية التي أولاها هيغل للدولة واعتبارها تجسيدا للوعي

الإنساني, راجعة إلى كونها محور العملية التاريخية والفكر التاريخي وجوهر

الحضارة والرقي, لأن الدولة تكبح العواطف الشرسة وتنظم الإنسان عن طريق

المؤسسات.

محاضرة رقم 6) : السببية \_الغائية -الحتمية ( في التاريخ

أولا: السببية في التاريخ :

1\_ تعريف السببية:

إن فهم الاحداث و الوقائع التاريخية سيتطلب التعرف على أسبابها والعلل المحركة لها و

ذلك من اجل الارتفاع بدراسة التاريخ إلى مستوى العلم ,حيث أن النشاط العقلي للإنسان

لا يصبح علما بالمعنى الصحيح إلا إذا استهدف منهم الظواهر و تعليلها و لا تكون

21

الظاهرة مفهومة علما بالمعنى العملي إلا إذا توصلنا إلى معرفة أسبابها و يقصد بالسببية

هي ربط المسببات بأسبابها و النتائج بمقدماتها و يعد هذا قانون عام شامل لكل ما في

العالم ولكل ما يحدث للإنسان و يرتبط التاريخ منذ نشأته الأولى بالسببية و أخذ

المؤرخون يسعون إلى التعرف على أسباب الوقائع و الأحداث التاريخية التي يدرسونها .

2\_ السببية عند بعض المؤرخين :

\* يشير ابن خلدون إلى ضرورة و أهمية بيان السببية التاريخية و ينتقد عيوب المؤرخون

الذين أغفلوها مما أدى بهم إلى الوقوع في الوهم و الأخطاء بقوله « إنهم لم يلاحظوا

أسباب الوقائع و الأحوال ولم يراعوها إذا تعرضوا إلى ذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا

محافظين على نقلها وهما أو صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من

رايتها ولا علة الوقوف عند غايتها ... » فعلى سبيل المثال ان التدهور الذي لحق بالدول

الإسلامية في العصور الوسطى هي التي دفعت ابن خلدون للاهتمام بالبحث عن الأسباب

وراء قيام و سقوط هذه الدول .

\* أما توينبي فيبين أهمية الوعي لقيمة السببية التاريخية في تنظيمها و التعمق بها و

توضيحها عند المؤرخين بقوله » و في رأي ليس هناك شيء ضروري للكتاب او لدارسي

التاريخ مثل ادراك تلك الأسباب التي تفسر تكوين أية سلسلة من الاحداث و تطورها . «

\*يعتبر هيرودوتس اول مؤرخ يشخص أهمية و قيمة الوصول إلى علل و أسباب الأحداث

التاريخية حيث كان اه هدف واحد و هو تتبع أسباب الحروب الفارسية اليونانية و قد

تقصى هيرودوتس عن الأسباب المباشرة و الغير المباشرة لهذه الحروب وكان استقصائه

غير مسبوق كما انه مزج بين التعليل العقلي و التعليل الميثولوجي في تفسيره للأحداث .

\* كما أكد المؤرخ الكبير المسعودي على مسألة فهم الأسباب الكامنة وراء حركة التاريخ و

تفسير الاحداث التاريخية ومنها الربط بين الاحداث التاريخية و العوامل الجغرافية و

البيئية و الفلكية فضلا عن السياسية إذ اعتنى بمسألة بيان أثر المناخ و البيئة الجغرافية في

مناقشته للقضايا و الاحداث التاريخية .

ثانيا : الغائية في التاريخ :

تمهيد: إذا كان التاريخ سلسله متصلة الحلقات فإن ما دار حوله من نظريات هو

أيضا متصل زمنيا و يربط بينها عوامل تاريخيه فبروز نظرية العناية الإلهية أعقبه الرد

عليها من خلال نظرية التقدم التي كان لها صدى كبير لتمجيدها لكن هي بدورها

تعرضت للنقد مما أفرز نظرية أخرى في فلسفه التاريخ اعتبرها البعض توفيقا بين نظريه

العناية الإلهية و نظريه التقدم و صبغت التاريخ بصبغه مغايرة في فهمه و تفسيره بل

22

طرحت فكره جديدة حوله و هي فكرة الغائية فما حقيقة الغائية في التاريخ ؟و هل فعلا

للتاريخ غاية و هدف ؟

1- مفهوم الغائية : تفيد هذه الفكرة أن التاريخ الإنساني يسير نحو غاية معينه فهو غائي

و هادف اعتمادا على مبدأ الغائية و يرتبط هذا الطرح بأفكار. الفيلس وف الألماني إيمانويل

كانط .

2 - كانط و القول بغائية التاريخ :

يؤكد كانط أننا لا نستطيع التفكير تاريخيا بدون أن نستخدم المجاز عن الغائية التي تعني

وجود غاية من أفعال الإنسان مع الإق ا رر بما تبدو عليه من فوضى بمعنى أدق أقر كانط أن

النظر في التاريخ يبرز بوضوح أنه غزير بالأحداث حروب , معارك, أنظمة, حكومات,

سلطة , وعلوم...و هي على كثرتها و ما تبدو عليه من فوضى, في حقيقة الأمر تحوي

انسجاما و انتظاما مطردا انه يحكمها مبدأ عام و سبب كلي يجعلها تسير وفق غاية معينة

حسب كانط أن الحروب و الثو ا رت و الانقسامات ما هي إلا وسائل لتحقيق غايات في

التاريخ و حتى لو توصلت الإنسانية إلى السلام الأبدي فإنه سلام لن يخلو من وجود

أخطار و شرور و إلا خمدت قوى الإنسانية .. وستظل الإنسانية تتحمل أقصى الشر

لتحقيق أهدافها و على الإنسان أن يؤمن بوجود غائية في طبيعة البشر ككل.

استنتاج فما يبدو مضطربا منذ عهد اليونان ثم الرومان و إلى اليوم يبرز أن مسار

التاريخ يسير نحو غاية و بالتالي يمكن التنبؤ بمستقبل الدول, و مسار التاريخ تقدمي نحو

غاية فهو يسير من بؤرة الحروب إلى اتساع أفق السلام بشكل مخروطي بحثا عن سلام

عام للإنسانية. و قد برزت هذه النظرية بعد كانط مع كثير ممن اعتبروا التاريخ غائيا كهيغل

و ماركس و كارل ياسبي رس و دلتاي...و كل له مسلماته و حجته.

ثالثا : الحتمية في التاريخ :

- 1 تعريف الحتميّة التاريخيّة : نظرة ترى التَّاريخ خاضعًا لقوانين صارمة طبيعيَّة أو

غيبيَّة , و الاعتقاد بأن للتاريخ أو المجتمعات مسار حتمي معين ,أو مراحل ثابتة تخضع

في تطورها لقوانين موضوعية .

23

حيث أن هذا المفهوم يرتبط غالبا بكارل ماركس ومبدأ المادية التاريخية.

2 - ماركس و الماركسية :

لا يزال الجدل قائما ما إذا كان ماركس يعتقد بمسار حتمي للتاريخ وما القوة

المحركة لذلك. من بين من يهتم بفكر ماركس الحتمي الماركسيون, الذين يبحثون

عن دروس استراتيجية لمشروعهم السياسي حيث يرى كارل ماركس أن

التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الإنساني, وهذه القوانين حتمية أي أنها

تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه , كذلك نظرية كارل ماركس

حول تطور المجتمعات عبر مراحل لها أثر هائل على مسار القرن العشرين

وهذه المراحل : هي المجتمع البدائي ثم مجتمع الرق ثم المجتمع الإقطاعي ثم

المجتمع الرأسمالي ثم المجتمع الاشتراكي الشيوعي , لكن جدير الذكر ان القسم

الأكبر من فلسفة ماركس يندرج ضمن الحتمية الاقتصادية التي تجعل للعامل

الاقتصادي الأثر الأكبر على تشكل المجتمع و مؤسساته و طبقاته و كذلك

صراع هذه الطبقات معا .

المحاضرة رقم 7 : فكرة نهاية التاريخ ) كارل ماركس و فوكوياما (

مقدمة :

لقد اتجهت العديد من التفسيرات الفلسفية إلى اعتبار التاريخ مجموعة من الأحداث المتعاقبة و

المتطورة فهو عملية تطويرية تخضع لحركية ديناميكية تعكس النشاط الإنساني عبر مختلف

العصور و في نفس الوقت اجتهدت تفاسير الفلاسفة على أن التاريخ في حركيته قد تتراجع إلى

الخلف و قد تتقدم إلى الأمام وفقا لسياق الأحداث المرتبطة بهذه الحركية, لذلك نجد ابن خلدون

يضع دورة تعاقبية للصيرورة التاريخية و يعتبران نهاية كل مرحلة تعلن بصورة حتمية بداية

مرحلة جديدة لاحقة لها, غير أن التصور الحديث و المعاصر لبعض الفلاسفة يرى أن هناك

نهاية حتمية للتاريخ, لأن المسار التاريخي للوجود الإنساني و وجود العالم لابد أن ينتهي في

مرحلة تعجز عن توليد حالة جديدة تتجاوز المرحلة النهائية من الناحية الفكرية يعتبر الفيلسوف

الألماني هيجل رائد فكرة النهاية في التاريخ إلى جانب كارل ماركس و في العصر المعاصر

المفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما, ما المقصود من نهاية التاريخ؟ و ما الذي يميز نهاية

التاريخ لدى هؤلاء الفلاسفة ?

24

أولا: فكرة نهاية التاريخ:

تشير كلمة نهاية التاريخ إلى أن المسار التاريخي للأحداث و الزمن لابد أن يصل إلى غاية

معينة تمثل الهدف الأسمى لمصير الإنسان و العالم, و من الناحية الأصلية لفكرة نهاية معرفة

مسار التاريخ فإنها تعود إلى التفاسير الدينية التي تعلن سلفا بنهاية الإنسان و العالم و الكون

بصفة عامة و هذا ما نجده في مختلف النصوص الدينية الإسلامية, المسيحية و اليهودية هنا

يمكن القول أن الإيمان بوجود غاية للتاريخ يعني الإقرار بوجود نهاية للتاريخ بمجرد بلوغ

هذه الغاية, على الرغم من التطور الدلالي لفكرة نهاية التاريخ حيث انتقلت من التأطير الديني

للفكرة إلى التأطير العقلي لها إلا أن معنى نهاية التاريخ يبقى يدل على:" معرفة مسار التاريخ

و وضع غاية له و ان اصل هذه الفكرة جاءت من الاديان السماوية ومن ثم انتقلت الى الفكر

الفلسفي الحديث مع اختلاف الرؤيتين الدينية و الفلسفية لفكرة نهاية التاريخ التي ترتبط بفكرة

التاريخ الشمولي .

ثانيا: نهاية التاريخ عند كارل ماركس

ما يعرف عن ماركس أنه هيجليا مقلوبا, فقد أقلب الجدلية الهيجلية رأسا على عقب وقد

أرسى ماركس دائم المادية التاريخية , فهي تدور حول حتمية الانتصار التاريخي

للبروليتاريا و انهيار البورجوازية الرأسمالية, فقد اعتبر الحركية المادية للعالم و التاريخ لابد

لها أن تنتهي في مرحلة متكاملة و ثابتة من الناحية الاجتماعية و الاقتصادية ,فهذا الأخير

هو الذي يحدد وضعية الطبقات الاجتماعية من حيث الفقر و الغنى و الضعف و القوة ...و

ما الثورة التي تقودها الطبقة العمالية إلا حركية تاريخية تدعو إلى تغيير مصير مرحلة

بأكملها و إحداث انقلاب تاريخي على الأيديولوجيا الرأسمالية, و يؤكد ماركس على أن نهاية

التاريخ تتحقق عندما تبلغ أهداف الثورة العمالية أكمل المراحل و هي الشيوعية وما الدولة

إلا مرحلة من مراحل الوصول إلى الشيوعية . و في كيفية الوصول إلى الشيوعية التي

يكون معها نهاية التاريخ أوضح ماركس " أن مرحلة جديدة تبدأ بعد أن يوضع الإنتاج على

أساس اشتراكي, و يختفي استغلال الإنسان للإنسان إذ سيتم الانتقال إلى المجتمع الشيوعي,

و هو يرى أن الاشتراكية ليست إلا مرحلة أولى من مراحل المجتمع الشيوعي , وهي

مرحلة قصيرة نسبيا للانتقال من مجتمع قائم على استغلال طبقة لطبقة أخرى إلى مجتمع لا

طبقي كامل التطور بهذه الكيفية إذا تكون نهاية التاريخ و يتحقق الكمال الوجودي للإنسان و

العالم كما يرى كارل ماركس .

25

ثالثا : نهاية التاريخ عند فرنسيس فوكوياما

تتضح رؤية المفكر الأمريكي فوكوياما في كتابه الشهير " نهاية التاريخ و الإنسان الأخير"

بأن الديموقراطية الليبرالية هي المحطة النهائية لتطور الأيديولوجيا البشرية, كما أن فوكوياما

يشير إلى أن الأحداث الصغيرة و الكبيرة المتعاقبة عبر تاريخ الشعوب لن تعرف التوقف و

انما ما يتوقف هو تطور الفكر الأيديولوجي لأن التاريخ يمثل تجربة كل الشعوب دون استثناء,

ينطلق فوكوياما من مقاربته الفكرية بين هيجل و ماركس:" كان هيجل و ماركس أيضا

يعتقدان أن تطور المجتمعات البشرية ليس بلا نهاية, و لكنه يكتمل عندما تجد البشرية الشكل

الاجتماعي الذي يشبع حاجاتها الأكثر عمقا و الأكثر أساسية و هكذا يكون المفكران قد وضعا

نهاية التاريخ .

إن نهاية التاريخ حسب فوكو ياما لابد ان تتجاوز حدود الجغرافيا و حدود الخصوصيات

الثقافية و العرقية عن طريق ما انتجته التكنولوجيا و ما ترتب عنه ما يعرف بالعولمة التي

تحمي مبادئها الولايات المتحدة الأمريكية لذلك يضع صفات خاتم البشر الذي يعيش في ظل

الدولة الديموقراطية الليبرالية متساويا مع الآخرين , ثمة نزعة إنسانية للتوحد و الانسجام

الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي و إذا ما تم بلوغها يمكن التأكيد على أن التاريخ قد بلغ

أعلى درجات الكمال و النهايات.